

قصة النمرود الملك

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّسِي وَيُمْيْتُ قَالَ أَنَا أُخَيِّسِي وَأُمِّيْتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥٨).

أسباب النزول والمناسبة

المناسبة: لما ذكر الله تعالى فيما سبق أنّ الله وليّ الذين آمنوا، وأنّ الطّاغوت وليّ الكافرين، أعقبه بذكر نموذج للإيمان ونموذج للطغيان، ليبيّن تلك القضية ويشهد على صدقها وصحتها، وهو أنّ إبراهيم وفقه الله للدلالة التي تدحض الشبهات، وأنّ الملك عمي عن نور الحق، فكانت حججه متهافئة ساقطة، تتردّد في ظلمات الشكوك والأوهام، فصارت هذه القصة مثلاً للمؤمن والكافر اللذين تقدّم ذكرهما.

المعنى العام

يقول الحق ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ببصيرتك إلى جهالة ﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهو ملك بابل: نمرود بن كنعان، جادل إبراهيم ﷺ وخاصمه ﴿فِي رَبِّهِ﴾ بوجود ربّه، ذلك أنّه أنكر أن يكون إله غيره، كما قال من بعده- فرعون- ملّته ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾^(١)، وما حمّله على هذا البطر والطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة، ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ إلاّ تجبّره وطول مدّته في الملّك الذي وهبه الله إياه. وعن تفاصيل المناظرة، ذكر المفسرون أنّه لما حطّم إبراهيم ﷺ الأصنام، في يوم عيد يخرجون إليه في كلّ سنة، سجنه الثمرود أياماً، ثمّ أمر بإحراقه في نار عظيمة، حتّى إنّ الطائر ليمرّ بها فيحترق من شدّة حرّها، فنجّاه الله منها. فدعاه الثمرود إلى المحاجة، وسأله: من ربّك الذي تعبد؟ ثمّ طلب دليلاً على وجود الرّبّ الذي يدعو إليه، فقال إبراهيم ﷺ: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّسِي وَيُمْيْتُ﴾ أي ربّي هو الذي يخلق الأرواح في الأجسام، ويخرجها عند انقضاء آجالها، فالدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدما، وعدمها بعد وجودها، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة، لأنّها لم تحدث بنفسها، فلا بدّ لها من موجد أوجدها وهو الرّبّ الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له، فعند ذلك ﴿قَالَ﴾ المحاجّ وهو الثمرود: ﴿أَنَا أُخَيِّسِي وَأُمِّيْتُ﴾، فأدعو برجلين قد استحقّا القتل، فأمر بقتل أحدهما فيقتل، متصوّراً أنّه سالب روحه، وأمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل، فذلك معنى الإحياء والإماتة بظنّه، متجاهلاً أنّ الروح بأمر الله. والظاهر إنّما أراد أن يدّعي لنفسه هذا المقام عناداً ومكابرة، ويوهم أنّه فاعل لذلك، وأنّه هو الذي يخبي ويميت، فلمّا رأى إبراهيم ﷺ غلظه وتشغيبه عدل له إلى حجة أخرى، لا مقدور للبشر على الإتيان بمثّلها، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ فإن كنت تدّعي الرّبوبيّة ومن شأن الرّبوبيّة أن تقدر على كلّ شيء، فلا يعجزها شيء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ فالذي يخبي ويميت هو الذي يتصرّف في الوجود، في خلق ذراته وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تشرق في كلّ يوم من المشرق، فإن كنت إلهاً كما تدّعي ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ فلمّا علم عجزه وانقطاعه، وأنّه لا يقدر على المكابرة في

هذا المقام، ﴿فَبَيَّتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ أي انقطع وبطلت حجته، فغلب وصار مبهوثاً، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى قبول الهداية، أو إلى طريق التجارة، فلا يلهمهم حجة ولا برهاناً، بل حجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب ولهم عذاب شديد. عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: "فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿أَنَا أَحْيَى وَأَمِيتٌ﴾: أَقْتُلُ مَنْ شِئْتُ وَأُسْتَحْيِي مَنْ شِئْتُ، أَدْعُهُ حَيًّا فَلَا أَقْتُلُهُ"، وَقَالَ: "مَلِكُ الْأَرْضِ مَشْرِقَهَا وَمَغْرِبَهَا أَرْبَعَةُ نَفَرٍ مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ، فَالْمُؤْمِنَانِ: سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، وَذُو الْقُرَيْنِ، وَالْكَافِرَانِ: بُخْتَنَصْرُ وَنَمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ، لَمْ يَمْلِكْهَا غَيْرُهُمْ"^(١)

وعن مُجَاهِدٍ أَيْضًا، قَالَ: مَلِكُ الْأَرْضِ مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ فَالْمُؤْمِنَانِ سُلَيْمَانُ وَذُو الْقُرَيْنِ. وَالْكَافِرَانِ بُخْتَنَصْرُ وَنَمْرُودُ وَسَيَمْلِكُهَا خَامِسٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ"^(٢). وهو أول من وضع التاج على رأسه^(٣).

ويعد «النمرود» أول جبار في الأرض، وكان حاكم بابل بالعراق، ولد ٢٠٥٣ قبل الميلاد، وهو شخصية تاريخية ذكرت لأول مرة في التوراة بالإسم كملك جبار تحدى الله، واسمه النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح. وتجبر في الأرض وادعى الربوبية، واستمر في ملكه أربعمائة سنة، وكان قد طغا وتجبر وعتا وأثر الحياة الدنيا^(٤).

وبعد المناظرة، بعث الله إلى الجبار- النمرود- ملكاً أن آمن بي وأتركك على ملكك قال: وهل رب غيري؟ فجاءه الثانية، فقال له ذلك، فأبى عليه، ثم أتاه الثالثة فأبى عليه، فقال له الملك: اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام، فجمع الجبار جموعه، فأمر الله الملك، ففتح عليه باباً من البعوض، فطلعت الشمس، فلم يروها من كثرتها، فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم، وشربت دماءهم، فلم يبق إلا العظام، والملك كما هو لم يصبه من ذلك شيء. فبعث الله عليه بعوضة، فدخلت في منخره، فمكثت أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق، وأرحم الناس به من جمع يديه وصرب بهما رأسه، وكان جباراً أربع مائة عام، فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه، ثم أماته الله"^(٥).

(١) ذكره الطبري في تفسيره، عن مجاهد، باب: تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾، ج٤، ص٥٧١.

(٢) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى، عن مجاهد، باب: في الملك في شرع من قبلنا، ج٣٥، ص٣٥.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره، ج٧، ص١٣٧.

(٤) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، باب: ذكر مناظرة إبراهيم الخليل، ج١، ص١٤٨.

(٥) ذكره الطبري في تفسيره، عن زيد بن أسلم، باب: تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾، ج٤، ص٥٧٢.

من هدي الآية:

١. التعم تبطر صاحبها وقد تكون سبباً للطغيان إذا لم يشكر الله عليها ويتق الله فيها.
٢. من دخل في أمر بالله ولله، نصره الله وألهمه الحجة وألجم وأبهر خصمه.
٣. إذا ظلم العبد ووالى الظلم حتى أصبح وصفاً له، ختم الله تعالى على قلبه فلا يهتدي أبداً ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَلْأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).
٤. الدجال وإبليس من هذا الصنف، فالله تعالى قد يختم على قلوب الكثير من الإنس والجن في كل زمان.
٥. جواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقيدة الصحيحة السليمة.
٦. تحدى إبراهيم التمرود في أمرين اثنين، ذكرهما تعالى في القرآن الكريم: طلوع الشمس من مغربها وإحياء الموتى. والآيات ذكرت قصة إحياء العزيز بعد موته مائة عام.
٧. عجّل الحق سبحانه لأعدائه عقوبة الفرقة قبل أن يعاقبهم بالحرقة، وهذه العقوبة أشد أثراً في التحقيق لو كانت لهم عين البصيرة.

من أسماء الله الحسنى: المحيي - المميت

شرح الاسماء: المحيي - المميت

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(٢).

المحيي خالق الحياة. والمميت خالق الممات.

التعلق باسمي الله المحيي، المميت:

الالتجاء إليه في إحياء قلبك وروحك بمعرفته، وفي إماتة نفسك وهواك، وجميع شهواتك.

العمل بالآية:

- استخرج ثلاثة آداب للحوار والمناظرة من قصة إبراهيم عليه السلام، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾.
- قل: «اللَّهُمَّ يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني، يا من آتيت إبراهيم الحجة على قومه آتني الحجة، واجعل ذلك لخيري وخير السامعين والحاضرين»، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

في الأخلاق والآداب

السلامة من المراء والجدال وحب الإنجاز والعمل (سبق ذكرها)

التخلق باسمي الله تعالى المحي - المميت :

- بإحياء عوالمك بالطاعات، وإماتتها من الخطوط والشهوات.
- يكون بأن تميث على الفور من فكرك وسؤس الشيطان من سوء الظن بالله وبالناس ولا تفكر بها مطلقاً.

التوجيهات :

- من أعظم نعم الله على أوليائه أنهم يرون بنور الله، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.
- التعم الدنيوية إذا لم يصاحبها إيمان بالله فهي وبال على صاحبها، وزيادة في سيئاته، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾.

في السيرة والشّمائل

لله رجال لو أقسموا على الله لأبرهم :

هذا حال أهل الجنة إذا أراد الواحد منه شيئاً كان، فيعطون بأمر الله سر كلمة "كن". كما أعطى رسول الله ﷺ في الدنيا، ويعطاها أهل التصريف من أولياء الله في بعض الحالات.

وكذلك في الحديث القدسي: «(وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَافُلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)»^(١).

- رجع أبو خيثمة إلى أهله في يومٍ حارٍ؛ بعد ما سار رسول الله ﷺ أياماً في مسيره إلى غزوة تبوك، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه، قد رشّت كل واحدة منهما عريشها، وبرّدت فيه ماءً، وهيأت له فيه طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأته وما صنعتا له؛ فقال أبو خيثمة: رسول الله ﷺ في الصّح والريح والحرّ!، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهين، وامرأة حسناء في ماله مقيم؟ ما هذا بالنّصف! والله لا أدخل عريش واحدة منكما، حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيتا زادا؛ ففعلتا، ثمّ قدّم ناضحه فارتحله، ثمّ خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ؛ قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله ﷺ: «(كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ)» فقالوا: يا رسول الله هو والله أبو خيثمة، فأمّا بلغ، أقبل فسألم على رسول الله ﷺ، فقال له: «(أَوَّلَى لَكَ يَا أَبَا خَيْثَمَةَ)»، ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر؛ فقال: خيراً ودعاه له بخير.

- تخلف أبو ذرّ وأبطأ به بغيره، وقال رسول الله ﷺ: «(دَعُوهُ، إِنَّ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَأَيْتُمْ أَنِّي مِنْهُ)»، فتلوّم أبو ذرّ على بغيره فأمّا أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره ثم خرج يتبع رسول الله ﷺ ماشياً، ونزل رسول الله ﷺ بعض منازل، ونظر ناظر من المسلمين فقال يا رسول الله إنّ هذا الرجل ماشٍ على الطريق، فقال رسول الله ﷺ: «(كُنْ أَبَا ذَرٍّ)» فلما تأملّه القوم قالوا: يا رسول الله: هو والله أبو ذرّ، فقال رسول الله ﷺ: «(يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَخَدَهُ، وَيَمُوتُ وَخَدَهُ، وَيُبْعَثُ وَخَدَهُ)».

(١) رواه البخاري الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب: {وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه}.

في قصّة هذين الصحابيَّين ﷺ مثالٌ وأُيِّ مثالٌ للحاقٍ بالصالحين، وعدم التخلّف عن ركبِ المؤمنين، وإن عظمتِ الظروف وصعّبتِ الأحوال، وإن وجدتِ الأعذارُ وساعتِ الأسبابُ، فلمسلمٌ مأمورٌ بصحبة الصالحين، ومرافقتهم، والعملِ بعملهم، ومجاهدة نفسه على ذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وكان من دعاء إبراهيم ﷺ (رَبِّ هَبْ لِي حَكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) قال المفسرون: لأعمل عملهم في الدنيا، وأكون معهم في الدار الآخرة. وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَخِينَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ»^(١)..

قصّة من حياة النبي ﷺ:

في القرآن الكريم بعضُ نماذجِ المُشركين الذين كان النبي ﷺ يواجههم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ* خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

نلاحظ أنَّ الله سبحانه وتعالى يتحدّث عن الذين يدخلون مع النبي ﷺ أو مع المؤمنين في جدلٍ حول الآيات في مفهومها الواسع، عن وجود الله وتوحيده، وكلّ ما يتعلّق بالوحي أو بالآيات القرآنيّة التي تدلّ على عظمة الله سبحانه وتعالى. فالمشكلة عند هؤلاء، أنهم يدخلون في جدالٍ من دون آية حجة، ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾^(٣)، أي من دون برهان يؤكّد فكرتهم. ولكن الغرور والكبرياء والتقليد الأعمى الذي ورثوه عن آبائهم من معتقدات خاطئة رسّخت في أذهانهم، أمور تجعلهم يشعرون بأنّ تنازلهم عنها أمام الحجج والبراهين التي يقدمها القرآن إليهم، هو تنازل عن الذات، وإسقاط للعنفوان. ولذلك، يُحاولون تغطية هذه الكبرياء بالجاهليّة المتخلّفة عبر هذا الجدال العقيم الذي لا يتركز على حجة. إن كلّ إنسان، إذا قدّمت إليه الحقيقة مزوّدة بالبراهين التي تدعمها وتؤكدّها، فإنّه يقتنع بها، ولكن الكبر يمنع من الاعتراف بها. كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَبُخَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾^(٤)، أي إنهم عاشوا حالة اليقين من خلال ما قدّم إليهم من براهين ومجج، ولكنهم بخدوا بها وكذبوها بسبب الكبر الذي يُخيم في قلوبهم.

تأمّل كيف جادلوه وكيف أمره الله تعالى أن يجيبهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعَنْبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خَلَالَهَا تَفْجِيرًا* أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا* أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزُفَيْكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٥).

في السلوك

الإشارة: قال بعض الحكماء: للنفس سرّ، ظهر على فرعون والثمرد، حتى صرّحا بدعوى الربوبية، لذلك قالوا: كلّ نفس تبطن ما أظهرته نفس نمرود وفرعون، من قوله تعالى: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾^(٦) لو أعطي لها المجال.

(١) رواه الإمام أحمد وغيره عن رفاعَةَ الزُّرْقِيِّ رضي الله عنه . وللحاق بالصالحين لا يكون إلا لمن صجّبهم في الدنيا؛ فأحبّهم وعمل بعملهم رواه البخاري.

(٢) سورة غافر، الآيتان: ٥٦-٥٧. (٣) سورة غافر، الآية: ٥٦. (٤) سورة النمل، الآية: ١٤. (٥) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠-٩٣.

(٦) سورة النازعات، الآية: ٢٤.

دلت الأحاديث الصحيحة على أن من علامات الساعة طلوع الشمس من جهة الغرب، وأن ذلك أمانة على غلق باب التوبة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾»^(١).

دعاء الدخول على حاكم ظالم، ذكره الإمام الشافعي عندما دخل على هارون الرشيد، وكان قد عزم على قتله:

عن الفضل بن الربيع حَاجِبُ هَارُونَ الرَّشِيدِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ صِيَارَةٌ سُيُوفٍ وَأَنْوَاعٌ مِنَ الْعَذَابِ فَقَالَ لِي: يَا فَضْلُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: عَلَيَّ بِهَذَا الْحِجَازِيِّ- يَعْنِي الشَّافِعِيَّ- فَقُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ذَهَبَ هَذَا الرَّجُلُ. قَالَ: فَأَتَيْتُ الشَّافِعِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: «أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ». فَصَلَّى ثُمَّ رَكِبَ بَغْلَةً كَانَتْ لَهُ، فَصَرْنَا مَعًا إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ، فَأَمَّا دَخَلْنَا الدَّهْلِيَّزَ الْأَوَّلَ حَرَكَ الشَّافِعِيُّ شَفْتَيْهِ، فَأَمَّا دَخَلْنَا الدَّهْلِيَّزَ الثَّانِيَّ حَرَكَ شَفْتَيْهِ، فَأَمَّا وَصَلْنَا بِمَحْضَرَةِ الرَّشِيدِ قَامَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كَالْمُسْتَرِيبِ لَهُ، فَأَجْلَسَهُ مَوْضِعَهُ وَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ وَخَاصَّةً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا أَعَدَّ لَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَتَحَدَّثُوا طَوِيلًا ثُمَّ أَذِنَ لَهُ بِالْإِنْصِرَافِ. فَقَالَ لِي: يَا فَضْلُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: احْمِلْ بَيْنَ يَدَيْهِ بَدْرَةً فَحَمَلْتُ، فَأَمَّا سِرْنَا إِلَى الدَّهْلِيَّزِ الْأَوَّلِ قُلْتُ: سَأَلْتُكَ بِالَّذِي صَيَّرَ غَضَبَهُ عَلَيْكَ رِضًا إِلَّا مَا عَرَفْتَنِي مَا قُلْتُ فِي وَجْهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى رَضِي؟ فَقَالَ لِي: «يَا فَضْلُ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْفَقِيهُ، قَالَ: "خُذْ مِثِّي وَاحْفَظْ عَنِّي: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾"^(٢). اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِنُورِ قُدْسِكَ، وَبِبَرَكَةِ طَهَارَتِكَ، وَبِعَظَمَةِ جَلَالِكَ مِنْ كُلِّ عَاهَةٍ وَآفَةٍ وَطَارِقِ الْحِجْنِ وَالْإِنْسِ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا رَحْمَنُ. اللَّهُمَّ بِكَ مَلَاذِي قَبْلَ أَنْ أَلُودَ. وَبِكَ غِيَاثِي قَبْلَ أَنْ أَغُوثَ، يَا مَنْ ذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْفَرَاغَةِ، وَخَصَّصَتْ لَهُ مَغَالِيطُ الْحِبَابَةِ، ذَكَرَكَ شِعَارِي، وَتَنَاوَكْتُ دِثَارِي، أَنَا فِي حِزْبِكَ لَيْلِي وَنَهَارِي، وَنَوْمِي وَقَرَارِي، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، اصْرُبْ عَلَيَّ سَرَادِقَاتِ حِفْظِكَ، وَقِنِي وَأَغْنِنِي بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا رَحْمَنُ". قَالَ الْفَضْلُ: فَكَتَبْتُهَا فِي شَرِكَةِ قَبَائِي. وَكَانَ الرَّشِيدُ كَثِيرَ الْغَضَبِ عَلَيَّ فَكَانَ كُلَّمَا هَمَّ أَنْ يَغْضَبَ أَحْرَكْتُهَا فِي وَجْهِهِ فَيَرْضَى. فَهَذَا مَا أَدْرَكْتُ مِنْ بَرَكَةِ الشَّافِعِيِّ"^(٤).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٦٥٠٦، كتاب: الرقاق، باب: طلوع الشمس من مغربها.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية، عن الفضل بن الربيع، كتاب: ذكر طوائف من جماهير النساك والعباد، باب: ذكر بيان نسبه، ومولده ووفاته.